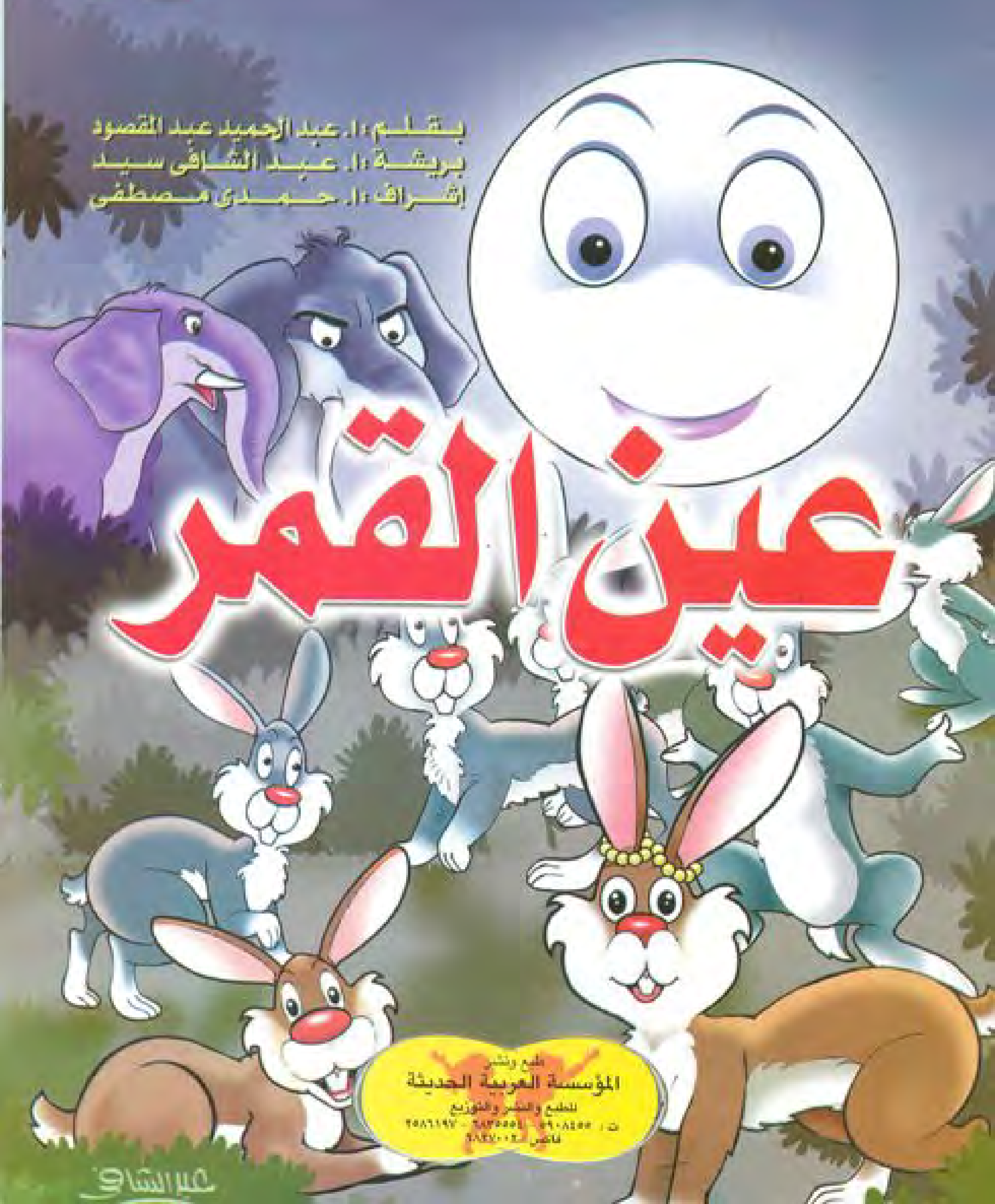
كايات كليلة ودمنة

13



يُحكَى أنَّ جماعةً مِنَ الْفِيَلَةِ كانتْ تَعيشُ فى أَرضٍ كَثيرةِ الخُضْرَةِ ، عَظيمةِ الخَيْراتِ .. وكانَ فى هذه الأَرضِ عينُ ماءٍ عذبٍ صافِيةُ ، فكانَتِ الْفِيَلَةُ تأْكلُ الْعُشْبَ الأَخضَرَ ، وتشربُ الْمَاءَ الْعذْبَ ، وتعيشُ حياةً هانِئَةً سعيدةً فى أرضِها ، التى تَوَارثتْها عَنْ أَجْدادِها لسنواتٍ طويلةٍ ..

وذاتَ عامٍ جفَّتْ عينُ الْماءِ ، وأَصابَ الْفِيلَةَ عطشٌ شديدٌ ، حتى كادَتْ تهْلِك مِنَ الْعطَشِ ، فشكَتِ الْفِيلَةُ أَمْرَهَا إلى مَلِكِها ..

أَرسَلَ مِلكُ الْفِيلَةِ رسُلَهُ لِلْبَحثِ عنِ الْماءِ فى كلِّ مكانٍ ، وبعدَ بحثٍ عادتْ إليْهِ الرُسُلُ ليخْبِروهُ أَنهمْ وجَدوا فى مكانٍ بَعيدٍ عنْ أَرضِهمْ عينَ ماءٍ يُطْلَقُ عليها اسْمُ «عيْنِ الْقمَرِ» ..



توجَّهَ مَلِكُ الْفِيلَةِ بالْفِيلَةِ إلى تلكَ الْعَيْنِ ، ليشْرَبوا مِنْها ..

وكانَتْ «عَيْنُ الْقمرِ» تقعُ فى أَرضِ الأَرانِبِ ، وكانتْ جُحُورُ الأرانِبِ مُنْتَشِرةً حَوْلَها ، فداسَتِ الْفيلَةُ بأَقْدامِها الضَّخْمَةِ وأَجسامِهَا الثَّقيلَةِ على جُحُورِ الأَرانبِ فهدَمَتْها ، وقتلَتْ عددًا كبيرًا منَ الأَرانِبِ ..

فَزِعَتِ الأَرانبُ ممَّا أَصابَها ، وأَسْرَعَ النَّاجُونَ مِنهمْ إلى مَلِكِ الأَرَانِبِ يشْكونَ إليهِ ما حَدَثَ ، ويطْلبونَ حِمايَتَهمْ مِنَ الْفِيلَةِ الْغاشِمَةِ ..



جلسَ ملكُ الأرانبِ عاجزًا ، وأخذ يفكرُ فى حيلةٍ يدفعُ بها بطشَ الفيلةِ عنْ شعبِهِ ، فلمْ يوفّقْ إلى حيلةٍ ناجحةٍ ..

ومنْ جانبِها صارتِ الفيلةُ تترددُ كُلَّ يومٍ على «عينِ القمرِ» فتشربُ حتَّى ترتوىَ غيرَ عابئةٍ بهدْمِ جُحُورِ الأرانبِ وقتْلِها ..

وكانَ منْ بينِ الأرانبِ أرنبةٌ ذكيةٌ ، معْروفةٌ بحسْنِ الرأىِ والمشُورةِ ، يُطْلَقُ عليْها اسمُ الأرْنبِ (فيْروز) ..

فكَّرتْ (فيروزُ) فيما يْحدُثُ لِقوْمِها منَ الأرانبِ ، والخطْرِ الرهيبِ ، الذى يتهدَّدُهمْ مِنَ الفِيلةِ ، حتى واتتْها فِكْرةٌ ذكيةٌ ، فتقدمتْ منْ ملكِ الأرانبِ قائلةً :



ـ لقدْ واتَتْنى حيلَةٌ أَيُّها المْلِكُ ، وأَنا واثِقَةٌ أَنَّ فيها دَفْعَ خَطَرِ الأَفْيالِ ، ونجاةَ شعْبِنا ..

وكانَ ملكُ الأَرَانبِ يعرِفُ (فيروزَ) بذَكائِها وحسْنِ رأْيِها ، فنظرَ إليها قَائِلاً :

ـ ما هيَ حِيلَتُكِ يا فَيْروزُ ؟!

فقالَتْ (فيروزُ) :

ـ أَريدُ أَنْ تبعَثَنى أَيُّها المْلِكُ إلى ملكِ الْفِيَلَةِ ، وأَنْ تبعَثَ معى مَنْ تخْتارُهُ ، حتى يَرى ويسْمَعَ ما أَقولُ ..



فقالَ ملِكُ الأَرانبِ :

ـ لأنَّنى أثِقُ بِذَكائِكِ ورَجاحَةِ عقْلِكِ ، وحسْنِ تدْبيرِكِ للأُمورِ ، فسوْفَ أُحَقِّقُ طلَبَكِ ، وأُرْسِلُكِ إلَى ملكِ الْفِيلَةِ ، وأُرْسِلُ معكِ منْ تخْتارِينَهُ ، حتَّى يسْمعَ ويَرى ما تقُولينَ ، ويرفَعَهُ إليَّ ، وأنا واثقٌ أنَّ النَّتيجَةَ ستَكونُ لِصالحِ شعْبنا .. هيَّا انْطَلقِي إلَى ملَكِ الْفيلَةِ ، وبلِّغى عنِّى ما تُريدينَ ..

فشكَرَتْهُ (فيْروزُ) وهمَّتْ بأَنْ تنْطلِقَ إلى مَلكِ الْفيلَةِ معَ الرَّسولِ الَّذى اخْتارَتْهُ ، لكنَّ الملِكَ استَوْقفَها قائِلاً :

ـ اعْلمِى أنَّ الرسولَ برأْيهِ وعَقْلهِ ، ولِينه ورفْقِهِ ، يخبرُ عنْ عقْلِ مَنْ أَرْسلَهُ ،

فعليكِ باللِّينِ والرِّفْقِ والتَأَنِّى والحِلْمِ .. الرسولُ هوَ الذى يُلينُ الصُّدُورَ ، ويُهَدِّئُ النُّفوسَ ، إذا كانَ رفِيقًا ، وهو الذى يُشْعلُ الصُّدورَ ، ويُثيرُ الْعَداوَةَ والْبَغْضاءَ إذا كانَ أَحمقَ غيرَ رَفيقٍ ..

فقالَتْ (فيروزُ) :

ـ اطْمئِنَ أيُّها الملِكُ ، فأنَا مِنَ النَّوْعِ الرَّفيقِ ، الشَّفيقِ على شَعْبِى ..

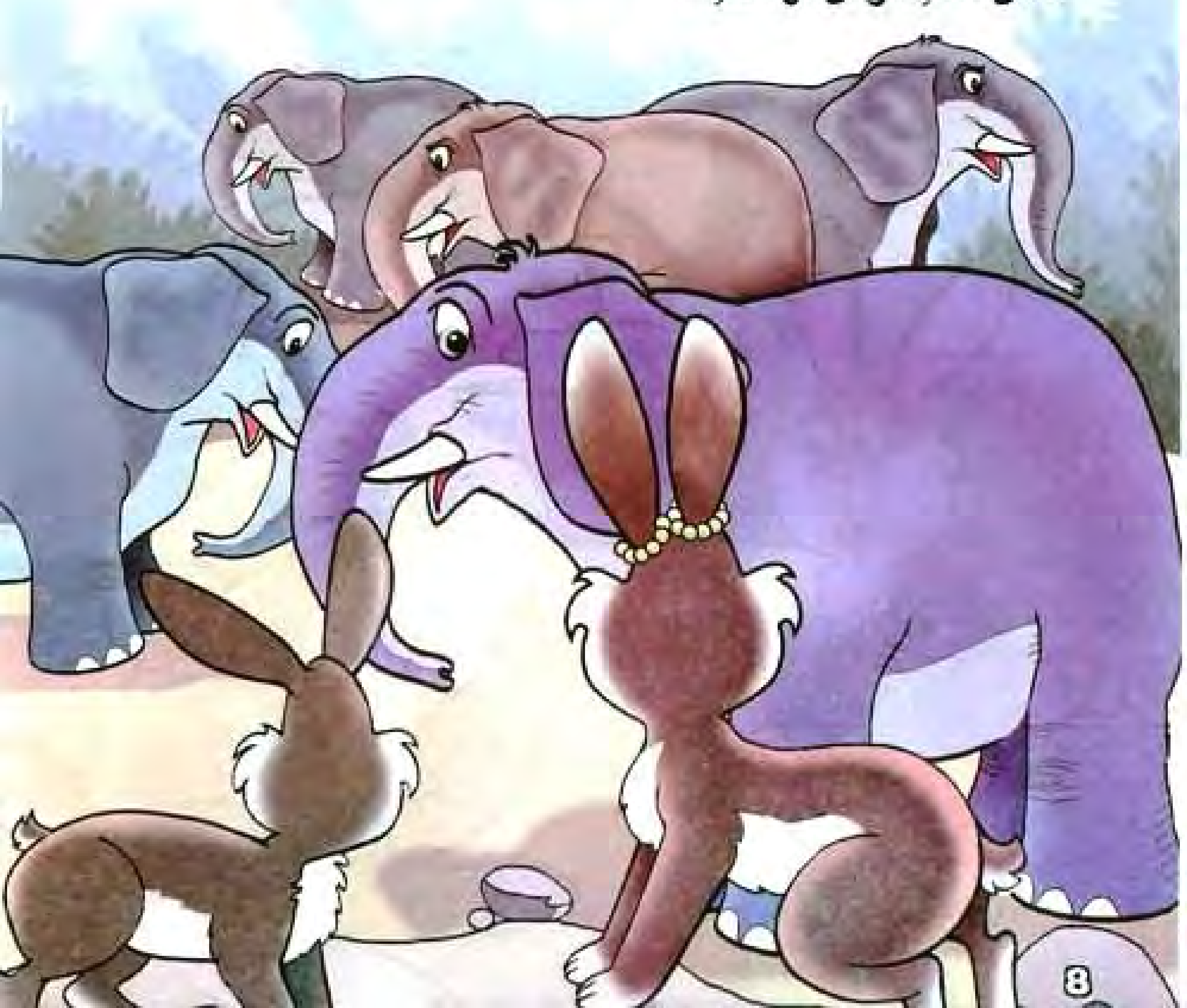
انْتَهتْ (فَيْروزُ) مِنْ كَلامِها ، فودَّعَتْ ملكَ الأرانبِ ، وانْطلَقَتْ تعْدُو لِمقَابلَةِ مَلكِ الْفِيلَةِ ، يتْبَعُها الرَّسُولُ الذى اخْتارَتْهُ ، وهو لا يَكادُ يلْحَقُ بها ، فوصلَتْ إلى أرْضِ الْفِيلَةِ ليْلاً ..

ومنْ حُسْنِ حَظِّها أَنَّ الْقَمَرَ كانَ ساطِعًا فى وسَطِ السَّماءِ ، وكانَ يُلْقى بِأَشِعَّتِه الْفِضِّيَةِ علَى الأَرْضِ ، فَيُحيلُ كُلَّ شىْءٍ إلى لَوْنِ الْفِضَّةِ ..

وعنْدمَا وصلَتْ إلى أَرْضِ الْفِيلةِ ، رأَتْهُمْ منْ بَعيدٍ بأَرْجلِهِمُ الضَّخْمةِ وأَجْسامِهِمُ الْعِمْلاقةِ ، فَخافَتْ أَنْ تقْتربَ مِنْهمْ أَكْثرَ ، فيدُوسونَها بأَقْدامِهِمْ ويقْتُلونَها ، وهمْ غافِلونَ ..

ولذلكَ صعِدَتْ (فيْروزُ) فَوْقَ الجَبَلِ المُطِلِّ علَى أَرْضِ الْفِيلَةِ ، ونادَتْ ملِكَ الْفيلَةِ ، فنظَرَ إليهَا قائِلاً :

ـ مَنْ أَنْتِ ، ومَنْ أَرْسَلكِ ؟!



فقالَتْ (فيروزُ) :

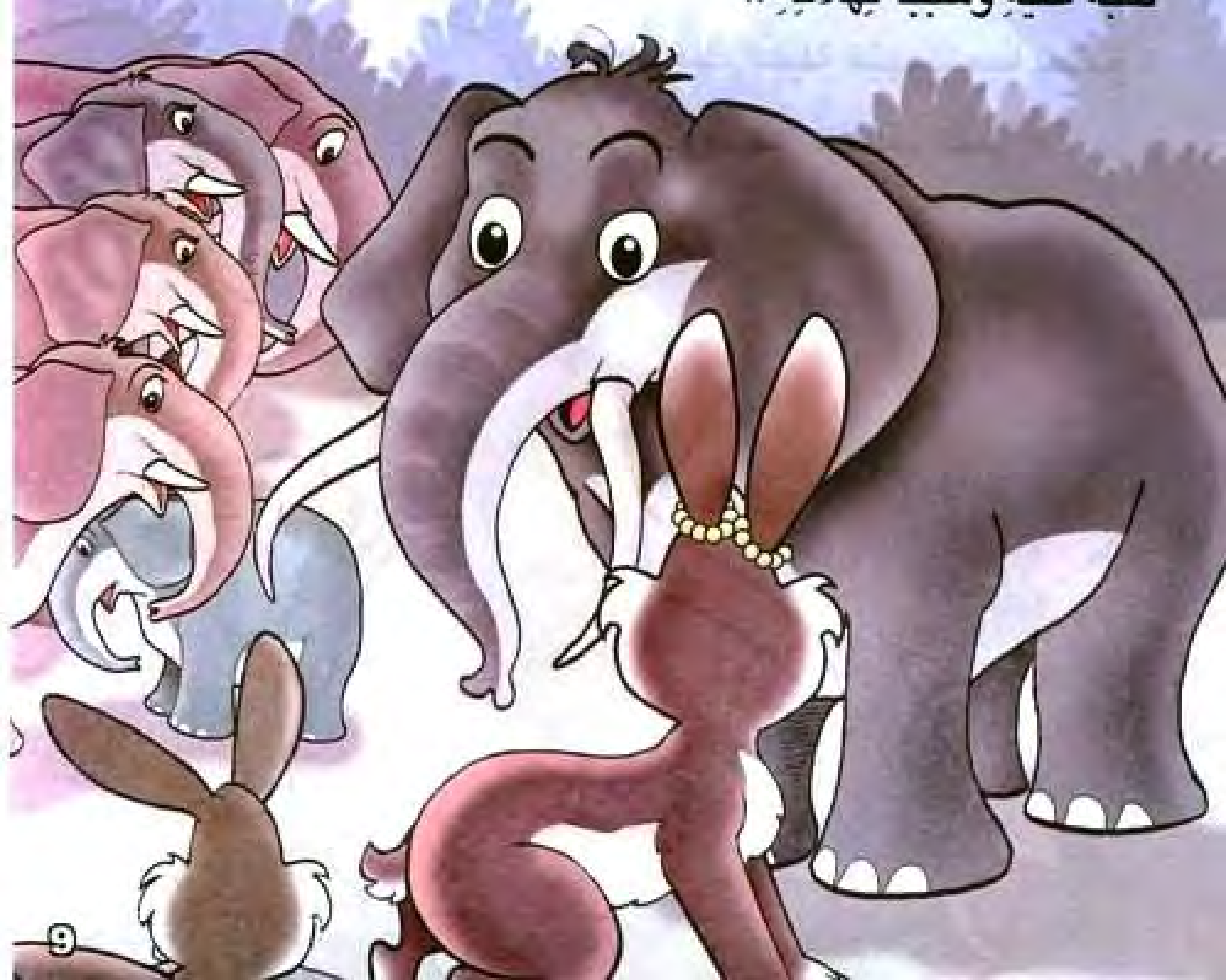
ـ أَنا رسُولُ الْقَمرِ .. لقدْ أَرْسلَنِى الْقَمرُ إليْكَ ، لأَبْلِغَكَ رِسالَتَهُ ، والرسولُ غيْرُ ملوُمٍ فيمَا يُبَلِّغُ عمَّنْ أَرْسَلَهُ ..

فأُعْجِبَ ملكُ الْفيلَةِ بفصَاحَتِها وقالَ :

ـ صدَقْتِ ، ولكنْ ما هىَ الرِّسالَةُ ، التى أَرْسَلَكِ بها الْقَمَرُ ؟!

فقالَتْ (فيْروزُ) :

ـ يقولُ لكَ الْقَمَرُ : إنَّ مَنْ عَرفَ مَدَى قوْتِهِ على الضُّعَفَاءِ وبطْشِهِ بهمْ ، فاغْتَرَّ بذلكَ فى شَأْنِ الأَقْوياءِ ، وظَنَّ أَنهمْ مثْلُ الضُّعفاءِ ، كانتْ قوَّتُهُ نَكْبَةً عليهِ وسَبَبًا لِهلاكِهِ ..



ففغَرَ ملكُ الْفيلَةِ فمَهُ منَ الدَّهْشةِ ، وقالَ لهَا :

ـ هلْ منَ المُمْكنِ أنْ تُزيدِى الأمْرَ وُضُوحًا ، حتى أفْهَمَ رسَالَةَ منْ أرْسَلكِ ؟!

فقالتْ (فَيْروز) :

ـ يقولُ لكَ الْقمرُ إنَّكَ قدْ عَرفْتَ مدَى قُوَّتِكَ علَى الحَيْواناتِ الضَّعيفَةِ ، فرحْتَ تدوسُ عليْها وتدْهَسُها تحتَ أقْدامِكَ ، وهى عاجزَةٌ عَنِ الدِّفاعِ عنْ نفْسِها ، وردِّ عُدْوانِكَ عنْها ، ويَبْدو أنْ ذلكَ قدْ دفعَكَ إلى الاغْتِرارِ بقُـوَّتِكَ ، فظَنَنْتَ أنَّ الْكُلَّ سـواءٌ ، ولذلكَ فـأنْتَ تذهَبُ إلـى الْعَيْنِ التى تُسَمَّى باسْمِى .. (عيْنِ الْقَمرِ) .. وتتـجرَّأُ على الشُّرْبِ مِنْها وتعْكيرِ مَائِها ، وهذا يغْضِبُهُ بشدَّةٍ ..

فقالَ ملكُ الْفيلَةِ مَبْهوتًا ممَّا يَسْمَعُ :

ـ وما هِى مَطالِبُ الْقَمرِ ؟!



فقالَتْ (فَيْروزُ) :

ـ لقدْ أَرسلَنى إلَيْكَ ، حتَّى أُنْذِرَكَ وأُحَذِّرَكَ ، كىْ لاتعودَ إلى الشُّرْبِ منْ (عيْنِ الْقمرِ) مرَّةً أُخْرى ..

فقالَ ملكُ الْفِيلَةِ فى تَحَدٍّ :

ـ وإذا فعلْتُ فمَاذا يستطيعُ أَنْ يفْعلَ لِى ؟!

فقالَتْ (فَيْروزُ) :

ـ ينْذِرُكَ الْقمرُ إذا عُدْتَ إلى الشُّرْبِ منْ عَيْنِه مرَّةً أُخْرى فسوْفَ يعْمِى بصَرَكَ ، ويعملُ على هَلاكِكَ ..

فقالَ ملكُ الْفيلَةِ مُسْتَنكِرًا :

ـ أَشُكُّ أَنْ يفعلَ الْقمرُ ذلكَ ..

فقالَتْ (فيروزُ) :

ـ إذا لمْ تكُنْ مصدِّقًا ، فتعَالَ معِى إلى (عَيْنِ الْقمرِ) ، وجَرِّبْ أَنْ تشْرَبَ مِنها مرَّةً أُخْرى ..



فقالَ ملكُ الْفيلَةِ وهوَ غيرُ مُبالٍ :

ـ هيَّا بنا ..

وهكَذَا انْطلقَ ملكُ الْفيلَةِ فى صُحْبَةِ الأَرْنبِ (فَيروزَ) إلى (عيْنِ الْقمرِ) فنَظرَ ملكُ الْفيلَةِ فى الْعَيْنِ ، فرأى صورَةَ الْقمرِ مُنْعَكِسَةً على سَطْحِ الْماءِ ، وخيِّلَ إليْهِ أنَّ الْقمَرَ جالسٌ داخِلَ الْبِئْرِ ، فتملَّكَهُ الْخوْفُ مِنْهُ ، ولمْ يَجْرُؤْ على الشُّرْبِ ..

ولمَّا رأَتْ (فَيروزُ) خوْفَهُ وتردُّدَهُ قالتْ مُتهكِّمَةً :

ـ مُنْذُ قليلٍ كنتَ ترعدُ بصوْتِكَ ، وتقولُ إنَّ أحدًا ، مهْمَا كانَ ،

لنْ يمْنَعَكَ الشّرْبَ منْ هذهِ الْعَيْنِ ، والآنَ أَراكَ تقفُ بعيدًا مُتَرَدِّدًا .. هل تُراكَ خائفًا منَ الْقمرِ ، أَمْ أَنَّكَ جَبُنْتَ عنْ لِقائِهِ ..

فقالَ ملكُ الْفيلَةِ بصوْتٍ راعدٍ :

- لا.. أنا ملكُ الْفِيلةِ ، الذى لا يَجْبُنُ عنْ لِقاءِ أَحَدٍ حتى ولوْ كانَ الأَسدَ المغْوارَ ..

فقالتْ (فيْروزُ) مُتَهَكِّمَةً :

- أَرنى إذنْ شجَاعَتَك وقوَّتَكَ يا ملكَ الأَدْغال ..

هيَّا مدَّ خُرْطُومَكَ فى المْاءِ ، واشْرَبْ إنْ كُنتَ شُجاعًا ، كما تَزْعُمُ ..





ولكىْ يدارِى الْفيلُ خَجَلهُ وكُسُوفَه أَمامَ الأَرنبِ (فَيروزِ) ويظْهرَ لها مَدَى قوتِهِ وشجَاعَتِه ، وأَنهُ ليسَ بالجُبْنِ الذى تصوَّرَتْهُ ، تقدَّمَ منْ (عَيْنِ الْقمرِ) ، وبمُنْتَهى الحِرْصِ والحْذرِ أَدْخَل خُرطومَهُ فى المْاءِ ليَشْرَبَ ..

ما حدثَ بعْدَ ذلكَ كانَ مُثيرًا للرُّعْبِ والْفَزَعِ فى نفْسِ مَلكِ الْفيلَةِ ، فعِنْدَما أَدْخَلَ خُرطومَهُ فى الْبئْرِ تحركَ المْاءُ واهتزتْ صُورَةُ الْقمرِ ، فخُيِّلَ لملكِ الْفيلَةِ المسكينِ أَنَّ الْقمرَ قدْ غضِبَ لذلكَ وارْتَعدَ ، وأَنهُ همَّ بأَنْ يبْطِشَ بخُرطومِهِ ..

ولذلكَ سحَبَ ملكُ الأَفْيالِ خُرطومَهُ وتراجعَ عَنِ الْعَيْنِ بسُرْعةٍ ..

ثمَّ نظرَ إلى (فيروز) قائِلاً :

ـ يَبْدُو أَنَّ الْقمرَ قدْ غضِبَ فعْلاً لاعْتدائِي على عيْنِ مائِه ..

لقدِ ارْتعَد فجْأَةً بمجرَّد إدْخالِ خُرطومِي فى المْاءِ ..

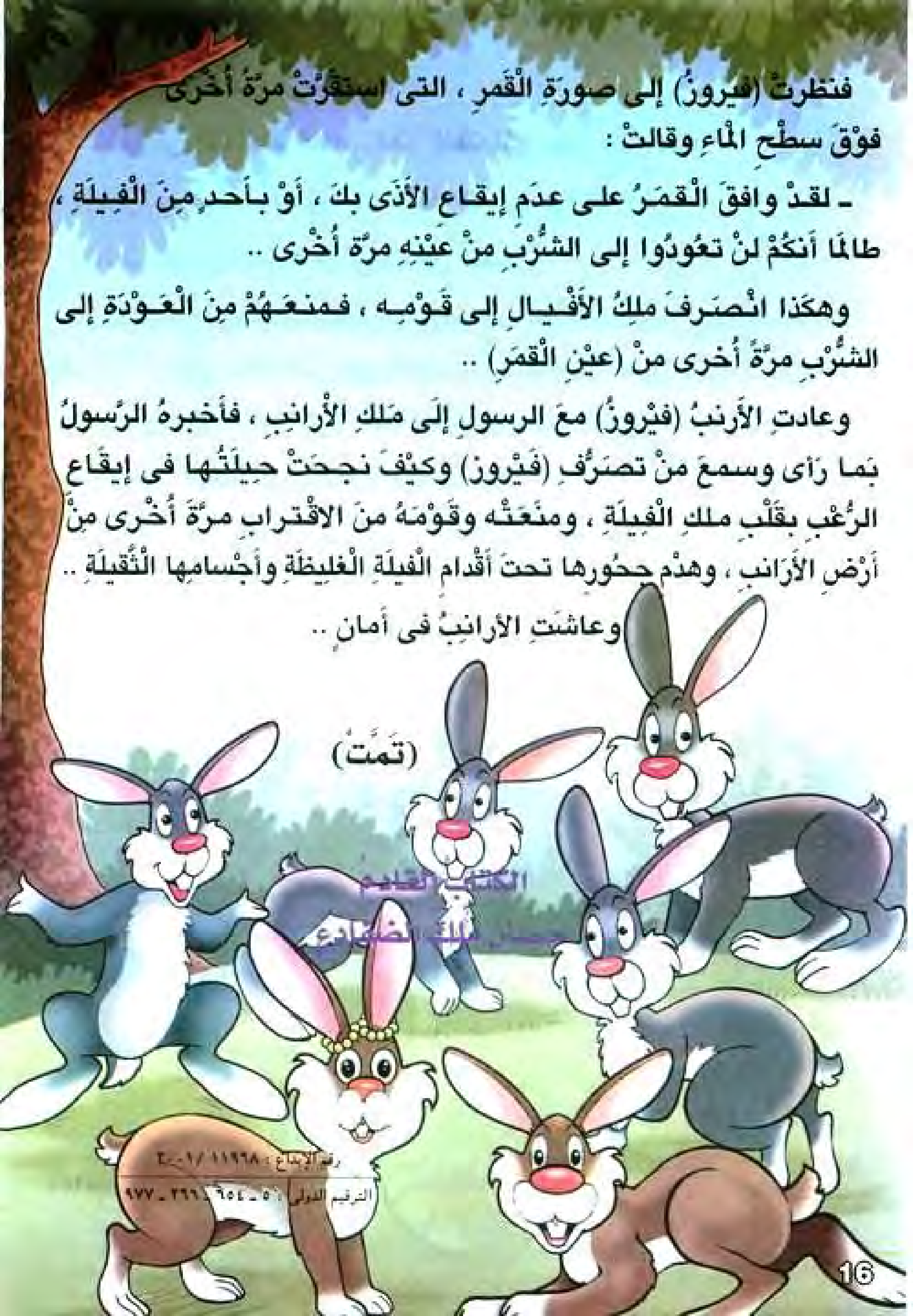
فقالَتْ (فيْروزُ) لتُزِيدَ فى رُعْبِه مِنَ الْقمرِ :

ـ لقدْ همَّ أَنْ يعَاقبكَ بقطْعِ خُرطُومِكَ ، لكنَّهُ فضَّل أَنْ يعطِيَكَ فُرصةً أَخيرةً ، حتى تكُفَّ عنْ حماقَتِكَ وتُعاهِدَه ألاَّ تعودَ مرَّةً أُخْرى إلى الشُّربِ منْ عيْنِ مائِهِ ، وإلاَّ أَهْلكَكَ أَنْتَ وجميعَ الأَفْيالِ ..

فقالَ ملكُ الْفيلَةِ فى رجَاءٍ واستِعْطافٍ :

ـ أَرجوكِ ، قُولى لهُ أَلاَّ يفْعلَ ذلكَ ، وأَنا أُعاهِدُهُ وأُعاهِدُكِ أَلاَّ تعودَ الْفيَلةُ إلَى الشربِ من هذه الْعَيْنِ مَرَّةً أُخْرى ..





فنظرتْ (فيروزُ) إلى صورةِ القمرِ ، التى استقرَّتْ مرَّةً أخرى فوْقَ سطْحِ الماءِ وقالتْ :

ـ لقدْ وافقَ القمَرُ على عدَمِ إيقاعِ الأذى بكَ ، أوْ بأحدٍ منَ الفِيلَةِ ، طالما أنكُمْ لنْ تعودُوا إلى الشُّرْبِ منْ عيْنِهِ مرَّةً أُخْرى ..

وهكذا انْصَرفَ ملِكُ الأفيالِ إلى قَوْمِهِ ، فمنعَهُمْ مِنَ العَوْدَةِ إلى الشُّرْبِ مرَّةً أُخرى منْ (عيْنِ القمَرِ) ..

وعادتِ الأرنبُ (فيْروزُ) معَ الرسولِ إلَى ملكِ الأرانِبِ ، فأخبرهُ الرَّسولُ بما رَأى وسمعَ منْ تصرُّفِ (فيْروز) وكيْفَ نجحَتْ حِيلَتُها فى إيقاعِ الرُّعْبِ بقَلْبِ ملكِ الفِيلَةِ ، ومنَعَتْه وقَوْمَهُ منَ الاقْترابِ مرَّةً أُخْرى مِنْ أَرْضِ الأرانبِ ، وهدْمِ جحُورِها تحتَ أقْدامِ الفيلَةِ الغليظَةِ وأجْسامِها الثَّقيلَةِ ..

وعاشَتِ الأرانِبُ فى أمانٍ ..

(تمَّتْ)

رقم الإيداع : ١١٩٩٨ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى : ٥ - ٦٥٤ - ٢٦٦ - ٩٧٧